Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

على مقدرات الإنسان . فالإنسان لدى ملفل يمكن أن يواجه كل قوى الطبيعة ، وأن ينتصر عليها ويستخدمها لصالح الإنسانية ، ولكن لا يمكنه تحدى قدره لأنه يعيش ويموت بأمر الله .

فى فصل عنوانه « السيمفونية » ويعنى بها عالم البحر ، يصور ملفل الطبيعة البحرية الجميلة كلها ، الفضاء والبحر بلونهما الأزرق غارقين فى اللازوردية الشاملة والهواء الشفاف له وجه امرأة ، أما البحر فإنه بموجاته القوية المتأنية كصدر شمشون وهو نائم وأجنحة الطيور البيضاء الصغيرة كالأفكار الرقيقة . وفى الأعماق الزرقاء الداكنة تتدافع الحيتان وأسماك القرش كالأفكار القوية للبحر « المسترجل » . وفى الأعالى كانت الشمس كملك مخيم تزف الهواء الرقيق للبحر الجسور كما تزف العروس إلى زوجها . وإن هذه السيمفونية الطبيعية الساحرة لتؤثر فى رجل صلب مثل « آخاب » الذى فقد مرحه منذ فقد رجله بين أنياب « موبى ديك » وصار مشدودًا إلى صراع وحيد لمنازلة « موبى ديك » . ومع هذا فقد وقف آخاب فى هذه الطبيعة الساحرة منتصبًا ثابتا شاحبًا متقدًا متحرقًا لقتال « موبى ديك » .

ولكن كيف لا يلين « آخاب » بفعل هذا الجو المحيط الساحر ، إنه ليلين بالطبع ، حتى لتنحدر من عينيه دمعة نزلت فى البحر « ولم يكن المحيط الهادى كله يحتوى ثراء كتلك الدمعة الصغيرة » . فهذه الدمعة هى نتاج الصراع بين سحر البحر الأخاذ وجمال الطبيعة ووحشية الصراع مع موبى ديك ، صراع آخاب مع قدره . ففى هذه الدمعة الرمزية تتجمع حياة آخاب كلها ، وتنساب ذكريات أربعين عامًا قضاها يصارع ويلات البحر ، لم يمض خلالها إلا نحو ثلاث سنوات متفرقة على البر . أربعين عامًا قضاها آخاب فى قيادة متوحدة صلبة جافة مثل طعامه المملح الجاف ، رمزًا للتغذية اليابسة التى عاشت عليها روحه تاركاً زوجة شابة تزوجها مؤخرًا بعد أن بلغ سن الخمسين ورحل إلى البحر . لذا فإنه يتأمل عمره كله كأنه قبض الريح ، عناء فى الصيد ، ومحاولات باسلة لبلوغ الهدف دون وصول إلى سر الحياة والموت الذى ظل يؤرق روحه حتى نفذت إرادة القدر . فمع كل تحمس آخاب للعودة إلى الوطن ورؤية زوجته تحمل ابنه فى انتظاره بالميناء كما يفعل أهل البحارة ، إلا أنه يسير وفقًا لقدره المسيطر عليه ويردد : «إن آخاب هو آخاب ؟ أنا أم الله من ذا يرفع هذه الذراع ؟ » فكل شىء فى الكون يتحرك بأمر الله . ويقول لضابط السفينة صفيه « استاربك » مومئا إلى مطاردته لموبى ديك : « إننا ندار فى هذا العالم كالدولاب الرابع والقدر هو المخل » ، إنه يرى البحر والصيد والتهام